

الاسكاتولوجيا في الفكر الديني اليهودي والمسيحي بين مفهوم الموت و حياة ما بعد الموت وفكرة الخلاص

The skeletalism in Jewish and Christian religious) thought
between the concept of death, life after death and the idea of salvation)

م.د. شيماء بدر عبدالله السراي

جامعة واسط- كلية التربية للعلوم الانسانية

في الديانات السماوية القديمة (اليهودية
والمسيحية) لذا قررنا دراستها في تلك
الديانتين، وأن يتم بحث مواضيع مثل
الاسكاتولوجيا وفكرة الحياة بعد الموت وفكرة
المخلص، وما يتصل بذلك من مسائل البعث
والحساب والعقاب، وهو أمر اختلفت فيه
الديانتين، إذ قبلته الديانة المسيحية، بصورة
مطلقة، فيما أمنت قسم من فرق اليهودية به،
وانكرته أخرى، وبذلك يسلط البحث الضوء
على تلك الأفكار و فلسفة الديانتين بها،
وتتبعها، ومدى إيمانها بها.

ملخص البحث

يُشير مصطلح الاسكاتولوجيا إلى إنه نوع من
المعتقدات الدينية التي تتعلق بنهاية التاريخ
أو اليوم الأخير من حياة البشرية، وقد أمنت
بها أغلب الحضارات القديمة والديانات
السماوية والوضعية، ودائماً ما تعلق
المصطلح لدى أغلب الامم بمفهوم ما بعد
الموت، وفكرة الحساب والعقاب في تلك
الآخرى، فضلاً عن فكرة الخلاص التي
استمدت قوتها من الديانات السماوية التي
أمنت بها، ونشأت لكل منها فلسفتها الخاصة
بها. ولوجود تلك الافكار بصورتها الاوضح

الكلمات المفتاحية (Keywords):

الاسكاتولوجيا (Eschatology)، التوراة (the Torah)، الإنجيل (the Bible)، المخلص (the
Savior)، يوم الحساب (Judgment Day)، حياة ما بعد الموت (the life after death)،
المسيح (Christ)، اليهود (the Jews) .

Research Summary

Eschatology denotes that it is a type of religious belief that relates to the end of history or the last day of human life, most ancient civilizations and the heavenly and positivist religions believed in it the term is always attached to most nations with the concept of the afterlife, and the idea of reckoning and punishment in other ones, as well. On the idea of salvation that drew its strength from the monotheistic religions that believed in it, and for each of them arose its own philosophy. Because of the presence of these ideas in their clearest form in the ancient monotheistic

religions (Judaism and Christianity), decided to study them in those two religions, and to discuss topics such as Eschatology, the idea of life after death, the idea of the Savior, and related issues of resurrection, arithmetic and punishment, which is a matter in which the two religions differed, as they accepted it The Christian religion, in an absolute way, while a section of Judaism believed in it, and others denied it, thus the research sheds light on those ideas and the philosophy of the two religions in it, its traceability, and the extent of its belief in it.

والحياة الأخرى، وهذا اليوم اختلف للإيمان فيه بين الأمم والديانات القديمة، فمنها من آمن بوجوده وجعله مسوغاً للإيمان به والاعتقاد بطوله، فيما ذهبت بعض تلك الحضارات إلى عدم الإيمان به، واعتقدت بأن الحياة على الأرض هي نهاية الحياة ولا وجود لحياة بعد الموت، لذا لم تكن الحاجة

المقدمة

احتلت صورة الموت وعالم الموت حيزاً أساسياً في كل الديانات السماوية والوضعية، وكذلك شمل كل الحضارات التي قامت في كل أنحاء العالم، وقد ارتبط ذلك أيضاً بفكرة اليوم الأخير (يوم القيامة أو يوم الحساب) الذي يُعدُّ حدّاً فاصلاً بين حياة الموت

اللاهوتي لهذه الفكرة، لأنها كانت ولا زالت تمثل صورة الارتباط الروحي بين فكرة الموت وفكرة الخلاص التي يبحث عنها الإنسان لتطهيره روحه والبحث عن خلاص روحي بالدرجة الأساس .

كما يقدم البحث دراسة وافية عن فكرة الاسكاتولوجيا في الفكر اليهودي والمسيحي فضلاً عن البعث والخلود والحياة ما بعد الموت، وهو ما يسهم في تتبع تلك الفكرة بفكر ديني وبحسب الفلسفة اللاهوتية التي يتبناها أصحاب تلك الديانتين.

المنهج المتبع في البحث

يتلخص منهجنا في البحث في الكشف عن الدلالات اللغوية والاصطلاحية لفكرة الحياة والموت والمخلص بصورة عامة، وبالفكر اليهودي والمسيحي بشكل خاص. وقد قسمناه إلى محورين أساسيين فضلاً عن مقدمة تعريفية عن معنى الاسكاتولوجيا، تناولنا بداية معناها الدلالي والديني، فضلاً عن مناقشة فكرة الخلاص وما جاء به الإنجيل - بنسخه الأربعة - من تفاصيل أحاطت بصورة تكاد تكون شاملة عن فكرة الخلاص والمخلص.

أما في المحور الثاني فقد عرجنا إلى مناقشة تلك الدلالات - الموت والحياة والمخلص - في الفكر اليهودي الذي أخرجنا الحديث عنه كون تلك الفكرة أقل وروداً ووضوحاً في الفكر اليهودي عنها في الفكر المسيحي، وقد

لوجود يومٍ للحساب. فضلاً عن ذلك نشأت عند بعض الأمم والديانات فكرة وجود مخلص مرتبط باليوم الأخير، وهذا المخلص هو الذي سيعمد إلى تخليص البشرية من عقاب يئنظرها بعد يوم الحساب.

أهمية الموضوع

يقوم البحث على تتبع (فكرة الموت وحياة ما بعد الموت وفكرة المخلص)، بسبب تشعبها، ودخولها ضمن إطار التركيبة الدينية والروحية للإنسان، ولكونها تشكل معتقد أساس في أشكال العقائد المتبناة للاديان بصورة عامة، لاسيما الأديان السماوية، ولأن هذه الفكرة سيطرت على العقل الإنساني منذ بدايات وجوده ولا زالت، تمثل إرثاً خصباً للأفكار الدينية في العقيدة الإنسانية عموماً، وإبراز الجانب العقدي لمعتقدي بعض الديانات التي اتخذناها نموذجاً للبحث وهي الديانتان اليهودية والمسيحية، لكونها تعدّ من الديانات السماوية الكبيرة، وبروز هذه الفكرة بروزاً واضحاً في الفكر العقدي لأتباع هذه الديانتين، ووضوحها في فلسفتها الدينية، فضلاً عن وجود كتب سماوية تحدثت عنها بإسهاب.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في الوقوف على أثر هاتين الفكرتين في الفكر الديني للديانتين المذكورتين ومدى اتساقها مع الفكر الإنساني وتأثره بها، مع الأخذ بنظر الاعتبار التطور

الشرطي لوجود إنساني ليس بعده تاريخ، وعلم الآخرة مرادف لعلم المعاد" (جميل صليبا، ١٩٨٢، ج١، ص٢٧).

ومصطلح الاخرويات تهتم عادة بالأمور الأخيرة. فكلمة (اسخاتا) أو (إسكاتا) تستعمل للتعبير عن معانٍ كثيرة، ففي المقام الأول توحى باستعمالها بالشيء المتعلق بالنهايات، والأشياء الأخيرة، ولدلالة هذا المصطلح من حيث العمق المكاني والحالة والزمن والشخص، نستطيع استعمالها لتتكلم عن المكان الأخير، وعن الأحداث التي سوف تحدث في المستقبل (إيرثيئوس، ٢٠١٠، ص٢٥٧).

كما تستعمل كلمة (اسخاتوس) من منظور جغرافي للتعبير عن أقصى حد لأفق الأرض، وهو ما يبرر استعمال هذا المصطلح في المنظور المكاني البعيد الذي تشير إليه دلالة حياة ما بعد الموت على اعتبار إنها مكاني جغرافي بعيد (إيرثيئوس، ٢٠١٠، ص٢٥٧).

ويشير هذا المصطلح عند اللاهوتيين إلى الإيمان بالآخرة (عبده الحلو، ١٩٩٤، ص٥٧). وقد استخدم لأول مرة في اللغة الانكليزية تقريباً سنة (١٥٥٠م) كجزء من اللاهوت والفلسفة، ليشير إلى الأحداث الأخيرة من التاريخ والمصير النهائي للبشرية، الذي يوصف عادة ب(نهاية العالم) أو (نهاية الزمن)، ويبدو إن هذا هو السبب

دمجنا بين موضوع الموت وحياة ما بعد الموت لأننا رأينا إن حياة ما بعد الموت تعتمد في فلسفتها على الإيمان بالموت كطريق موصل إلى تلك الحياة الأخرى. ولأن الدين ابتدأ عندما أدرك الإنسان الموت؛ فبدأ بالبحث عن فكرة الخلاص وحياة ما بعد الموت جعلت من وجود هذه الفكرة أساسية في وجود فلسفة خاصة بتلك الأمم.

ما هي الإسكاتولوجيا

الإسكاتولوجيا: (Eschatology) كلمة يونانية يتكون من مقطعين هما: (إسخاتوس) أو (إسكاتوس) وتعني الأخير، و"لوغوس" وتعني الكلمة أو الكلام.

أما في الاصطلاح فقد رمزت حين استعملت إلى نهاية العالم، أو اليوم الآخر في أغلب استعمالاتها الفكرية.

وقد عرّفها لالاند (Andre) Lalande بأنها: "عقيدة متعلقة بالغايات الأخيرة للعالم وللبشرية، يستعملها علماء اللاهوت بنحو خاص للدلالة على مسألة (نهاية العالم)، (اليوم الآخر)، (يوم القيامة)، والحالة الأخيرة التي يتعين على هذا اليوم استهلاكها، إلا أنها تصادف أيضاً عند الفلاسفة" (لالاند، ٢٠٠١، مج١، ص٣٦١). وقد يطلق هذا المصطلح أيضاً على "النظريات التي تبحث في مصير الإنسانية بعد اجتيازها مرحلة الوجود الفعلي، أو على النظريات التي تبحث في الحدّ النهائي

ظهوره (إيرثيئوس، ٢٠١٠، ص ٢٥٨). لهذا لا بد لنا من إعطاء توضيح محدد لكلمة الإسكاتولوجيا أو الأخيرة أو النهيوية في الفكر المسيحي، فهذه الكلمة ذات الأصل اليوناني (eschatologie)، تدلُّ على معرفة الحقائق الأخيرة. وبمعنى أدق تعني نهاية الأزمنة والدينونة الإلهية وعودة المسيح.

وهو ما يؤكد أوغسطين دوبره لاتور بالقول إن: "الأخيرة كلمة عربية منحوتة للدلالة على معرفة الحقائق الأخيرة، ومرادفها كلمة "إسكاتولوجيا" اليونانية الأصل. بالمعنى الحصري، تعني هذه الكلمة نهاية الأزمنة، الدينونة الإلهية وعودة المسيح" (أوغسطين دوبره لاتور، ٢٠٠٧، ص ٢٢).

ولكن في الفكر المسيحي فالأبدية حاضرة منذ الآن بفضل قيامة المسيح، لذا فالغالب إن الإسكاتولوجيا تعني حضور المسيح القائم من الموت في عالمنا، وقيامه يعني حضور الروح القدس على وجه الدقة، وبهذا المعنى فالإسكاتولوجيا حاضرة منذ الآن في العالم، ولكنها ليست تامة بعد. لذلك فالفكر المسيحي يرى إن هذه الحياة تستمر في الأبدية مثلما بدأت على الأرض (أوغسطين دوبره لاتور، ٢٠٠٧، ص ٢٢).

كما استعمل هذا الاصطلاح بوجه خاص من قبل اللاهوتيين في بحثهم عن "الدينونة الأخيرة" أو المصير الأخروي، والحالة

الذي دفع القائمين على قاموس أكسفورد الانكليزي بتعريفه بأنه: "أحد فروع علم اللاهوت المتعلق بأربعة أمور هي: الموت، الحساب، الجنة (السماء)، النار، (الجحيم)" (خزعل الماجدي، ٢٠١٦، ص ٤٢٢).

وقد توسع استخدام هذا المصطلح وبرز في القرن التاسع عشر، ليشمل قطاعات وعلوم أخرى كالميثولوجيا المعني بالنهاية والموت، وكذلك عند المتصوفة حيث إنه يشير إلى نهاية الواقعية التي يؤمن بها الصوفي وهي جمع شمله مع الله، وفي الأديان يستخدم عموماً للإشارة إلى انتظار المسيح أو المخلص أو المهدي المنتظر وما يحصل خلال ذلك وبعده (خزعل الماجدي، ٢٠١٦، ص ٤٢٢). ويفهم من ذلك كله إنه العلم المختص بالكلام في الأخرويات، والبحث في المسائل المتصلة بنهاية العالم ومصير الإنسان والبشرية، فضلاً عن النظر في يوم القيامة والحساب، وما يتبعه من عذاب في النار أو نعيم في الجنة.

الاسكاتولوجيا في الفكر المسيحي

تستعمل كلمة (اسكاتولوجي) في الفكر المسيحي بصورة رئيسة للتعبير عن نهاية الزمان، ويوجد هذا المعنى في مواضع عديدة في العهد الجديد، كما تستعمل كتعبير مرادف لـ(الأخرويات) ليشير للأزمنة الأخيرة في نهاية الزمان عندما يأتي المسيح ليدين الناس، ولكل الأشياء التي ستأتي قبل وبعد

والتوبة، كما يصرح بذلك بالقول: "هُوَذَا الْآنَ وَقْتُ مَقْبُولٍ. هُوَذَا الْآنَ يَوْمُ خَلَاصٍ" (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: الإصحاح ٢/٦). فالموت نهاية الأمر، وهذا التنبيه مهم لأنه يقطع كل رجاء باطل من جهة الخلاص بعد الموت للذين لم يخلصوا قبله كما قيل: "فَلْتُخَفِّ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعَدِّ بِالذُّخُولِ إِلَي رَاحَتِهِ، يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ!" (الرسالة إلى العبرانيين: الإصحاح ١/٤).

وهذا يعني إن باب الخلاص قد أُغلق بعد الموت، فلا خلاص إلا خلاص الإنسان بنفسه، وهذا متوقف على أعماله في الحياة التي يعيشها، فحصاد في العالم الآتي هو نتيجة الزرع هنا. وهذا النظام يتفق مع حكمة الله ويوافق هدف عمل الفداء، كما يوافق عدل الله وصلاحه (القس جيمس أنس، د.ت، ص ٦٥٤).

ويبدو إن قيامة الجسد فكر متأصل في الفكر المسيحي بدلالة الإنجيل الذي يتحدث عن تلك القيامة على لسان المسيح، فقد ربط المسيح في أحاديثه الأمور الأخيرة بقيامة الجسد، وبالتالي بالدينونة التي سوف تليها، فقد تحدث إلى اليهود قائلاً: "وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لَأُتْلَفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِيرِ" (انجيل يوحنا: الإصحاح ٣٩/٦). ويبدو إن هذا الاعتقاد كان راسخاً عند اليهود، وتأكيد ذلك كان على لسان مرثا أخت لعازر التي

الأخيرة، أو الهيئة التي يتعين أن يستهل عليها اليوم الآخر (يوم القيامة)، وهذه الأفكار هي القاسم المشترك في الديانات السماوية الكبرى - اليهودية والمسيحية والإسلام - بصورة أكثر تفصيلاً. فضلاً عن وجود هذا المصطلح عند الفلاسفة أيضاً الذين يلجؤون إلى استخدام عبارات، مثل "الإسكاتولوجيا الكونية" و"الإسكاتولوجيا الأخلاقية" (كميل الحاج، ٢٠٠٠، ص ٣٥٦ و ص ٦٠٧) .

وبمعنى أبسط، الأخيرة أو الإسكاتولوجيا هي بحث في التهيؤات (Eschatological endings)، في النفس البشرية، في الكون، في المصير بشكل عام. وبالتالي يمكن اعتبار هذا المصطلح لاهوتياً ينطلق من الإيمان استناداً إلى الكلمة الإلهية، أما بعده الحقيقي فيرتكز حول مفهوم السماء، وجهنم، والموت، والجحيم والقيامة. وبالنسبة للمسيحيين فنهاية العالم ليست فناء بل تجديد، ومجيء عالم متجانس مشترك لعودة المسيح وقيامه الأموات (يوسف هريمة، ٢٠١٦، ص ١١) .

ويقرّ الانجيل أن الموت نهاية فرص البشر للتوبة والإيمان بالمسيح، وهو النهاية الطبيعية لنوال المغفرة والخلاص، فكل عاصٍ لابد له من التوبة قبل ساعة الحقيقة وحلول الموت، وما دام الإنسان في هذه الحياة لابد من أن يبحث عن الخلاص

بوضوح في انجيل لوقا مفاده أن المسيح ليس نهاية كل تاريخ، بل بداية تاريخ جديد ونهائي، وهذا التصور ربما يشير إلى فكرة الخلاص، وكما أن سفر الأعمال لم يمخ الانتظار الاسكاتولوجي، بل أحر موقعه في الزمن. فهو لا يعزّي المسيحيين مصوراً لهم النهاية القريبة لمحنهم، بل يبرز بالأحرى الطريقة الصحيحة للإفادة من المحن ومن بُعد الزمن، والروح القدس لا يظهر على أنه حلّ لجميع المشاكل، ولكنه يتيح أن نأخذ على عاتقنا ثقل الانشداد الاسكاتولوجي دون أن نياس أمام مهلة الخلاص (أسطفان شرينتبييه، ١٩٩٠، ص ١٩٥).

فيما نلاحظ صورة القيامة في إنجيل متى الذي يؤكد فيها حصول ذلك اليوم، وجزء كل إنسان بما عمل في الحياة، (إنجيل متى: ٣١/٢٥-٤٦).

ومن ملاحظة الأناجيل الأربعة كلها نرى بوضوح إن إنجيل متى يتحدث عن الدينونة الأخيرة (يوم القيامة) أكثر من غيره من الأناجيل، وفي أماكن عديدة، فنلاحظ - مثلاً - إنه أورد عبارة "هناك يكون البكاء وصريز الأسنان" ست مرات (الإصحاحات: ٨، ١٣، ٢٢، ٢٤، ٢٥)، إذ تشير الآية إلى القصاص الأبدي الذي يعانیه مرتكبو الآثام الذين لم يؤمنوا بالمسيح الموعود ولم يطبقوا الشريعة وأعمال البر. فالعامل الذي يشتغل بجد مستثمراً وقته في خدمة الله سيكافأ، أما

أجابت على تأكيد المسيح قائلة: "قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقيم في القيامة، في اليوم الأخير" (انجيل يوحنا: الإصحاح ٢٤/١١).

وهذه الفكرة نجدها موجودة بقوة في الإنجيل لاسيما في خطبة النهايات عندما يقول يسوع: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء» (إنجيل متى: الإصحاح ٢٥/٣١-٣٢).

ونرى بوضوح في هذا النص عمق الشخصية الاسكاتولوجية في خطاب المسيح، وبالتالي عمق فكرة النهاية والقيام عند المسيحيين، لكنها ليست قيامة المسيح فقط، بل قيامة البشرية جمعاء، وهناك كثير من النصوص تتعلق بموضوع القيامة والمكافأة منها: "وكثيرون من الرافدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدياء الأبدية" (سفر دانيال: الإصحاح ١٢/٢).

إذاً في يوم الجزاء والحساب يبعث البشر جميعاً ليتم مكافئة الجميع على أعمالهم، فمن نال الخلاص في الحياة يذهب إلى الحياة الأبدية، ومن لم يحض به فمصيره العار الابدي.

في نفس الوقت هناك تصور مسيحي يظهر

فالإسكاتولوجيا المسيحية تعني - بحسب الرؤيا - تلك الشراكة التامة التي بين الأحياء والأموات مع المسيح (باسمة الخوري الأنطونية، ٢٠٠٩، ص: ٣٣).

فالذي يؤمن بالمسيح وبكلمته ويعيش بها، لا يمكنه أن يموت، بل انتقل من الموت إلى الحياة^{٢٤} «أَلْحَقَّ أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْئُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (انجيل يوحنا: الاصحاح ٥/٢٤).

وهذه الدينونة عامة، وحكمها نهائي، وغير قابل للاستئناف، وبموجبه يدخل الابرار الى أفراس ملكوت المسيح، والاشرار الى الظلمة الخارجية واليأس الابدي (جورج بوست، ١٨٩٤، ص ٤٥٥). وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حساباً عن أعمالهم في الجسد خيراً كانت أم شراً (نخبة من اللاهوتيين، د.ت، ص ١٩).

ولهذا فالخلاص قد تحقق للبشرية وفق رؤية يوحنا اللاهوتي، فإنجيله يتحدث عن هذا الخلاص كنتيجة حتمية اقتضتها مكانة الإنسان عند الرب، فقدم ابنه الوحيد قرباناً لذلك الخلاص،^{٢٥} «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَاةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَبْنِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِئَلَّا لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.»^{٢٦} لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ

العامل الذي ليس قلبه على الملكوت فسيعاقب (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ٢٠٠٢، ص ١٩٥٤)

وهنا يأتي سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا)، ليؤكد النتيجة الحتمية التي ينتظرها الجميع، ويعلن إسكاتولوجيا تلخصها كل ذلك برجاء مجيء المخلص المنتظر. فسفر الرؤيا هو رمز للدمار الآتي، وأن الإسكاتولوجيا الواردة فيه تمثل نهاية العالم (باسمة الخوري الأنطونية، ٢٠٠٩، ص: ٣٣).^{١١} «لَمَّا رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أبيض، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يَجِدْ لَهَا مَوْضِعًا!»^{١٢} «وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتِ صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَقْفِينَ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَنْفَتَحَتْ أَسْفَارًا، وَأَنْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرٌ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينِ الْأَمْوَاتِ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.»^{١٣} «وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَآوِيَةُ الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ.»^{١٤} «وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَآوِيَةُ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ. هَذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي.»^{١٥} «وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ» (سفر الرؤيا: الاصحاح ٢٠/١١-١٥).

إذا فكرة الخلاص في الفكر المسيحي - تبعاً لرؤيا يوحنا - تتلخص بجمع كل خوف البشرية ورجباتهم حول المخلص المنتظر، لأنه القادر على إعطاء الإنسان الشجاعة اللازمة ليعيش الرجاء في غمرة الموت،

الخلاص.

ترتكز نظرة لوقا في الخلاص حول الزمن، فالحديث عن الاسكاتولوجيا عند لوقا حديث ذو محورين، الأول: إن الخلاص قد حصل في الوقت الحاضر، وقت نزول المسيح وصلبه، فإنه قد حرر الإنسان وخلصه من الخطيئة، والأمر الثاني: إن هناك أمور مستقبلية ستحدث، ويقصد بها الحديث عن يوم القيامة، فهذا الأمر واقع لا محالة (القس جيمس أنس، دت، ص ٦٥٢).

وهكذا فإنه يعطي نظرة متوازنة حول وجهة النظر اللاهوتية للإسكاتولوجيا المسيحية، فهو مؤمن بأن الخلاص قد تمّ مع المسيح، ولكن على المؤمنين به أيضاً أن يغيروا طرقهم، وأن ينتظروا خلاصهم الأبدي، وهذا الخلاص لا يأتي إلا من خلال العمل الحقيقي.

وبعيداً عن التصورات والقناعات الفكرية لنهاية العالم من حيث الاختلاف والتشابه مع ما جاء في النصوص الدينية والشرائع السماوية، فإن فكرة الاسكاتولوجيا اختلطت مع الأساطير والميثولوجيا التي طرحتها قناعات الأديان والثقافات الأخرى التي عاشت وتعايشت في البيئات نفسها، لكنها اشتركت جميعاً في حالة ايديولوجيا الصراع بين الخير والشر وانتصار الخير الذي يمثله الأنبياء في النهاية، على الشر الذي يمثله الشيطان، أو الدجال، أو غير ذلك من

حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَجِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (انجيل يوحنا: الاصحاح ٣/١٤-١٥).

وإنه الإنسان قد دخل في عالم القيامة: "وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَأَمَّنْ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ" (انجيل يوحنا: الاصحاح ١١/٢٦). فحصل بذلك على الحياة الأبدية. فيوم الدينونة والقيامة بالنسبة إلى يوحنا هو يوم مجيء المسيح في قلب كلّ من يؤمن ويحب: "أَلْحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْرُ الْحَيَاةِ" (انجيل يوحنا: الاصحاح ٦/٤٧-٤٨).

أما لوقا فإنه عبر عن فكرة الخلاص بحضور شخص المسيح في العالم من خلال كلمة (اليوم)، التي تتكرر عنده إحدى عشر مرة، في إحداها يبشّر الملاك الرعاة في بيت لحم قائلاً: "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخْلِصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (انجيل لوقا: الاصحاح ٢/١١). وفي نص آخر يؤكد على ذلك باللفظ ذاته - اليوم - على لسان يسوع: "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَاصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ" (انجيل لوقا: الاصحاح ٩/١٩).

وهذا يؤكد على أهمية هذه الكلمة عند لوقا، ومدى تعلقها بالخلاص الذي يتجلى فيه يسوع من خلال حضوره بشخصه وكلمته ليكون خلاصاً للجميع. لذا فكل من آمن بالمسيح لا بد له من التوبة ليحصل على

والروس وبعض اليهود، وتنتهي هذه الملحمة العظيمة (التي يسميها المسيحيون هيرمجدون) بانتصار المسيح - قوى الخير - على الشيطان واتباعه، ويقوم بأسره وسجنه، ويعيش المؤمنين مع المسيح لألف عام في الفردوس الأرضي الذي يعم الدنيا بعد هذا الانتصار (محمد الحسيني إسماعيل، ٢٠٠٠، ص ٩٧).

أما مصير الشيطان، فإن المسيح بعد نهاية المعركة سيقوم بتقييده حتى لا تكون له سلطان على اتباعه، وهو ما تؤكد رؤيا يوحنا: "وَرَأَيْتُ مَلَكَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَآوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. فَقَبَضَ عَلَى الثَّنِينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إبليسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَبَضَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَآوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لَا يُضِلَّ الْأُمَّمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَنبُتِ الْأَلْفُ السَّنَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يُحَلَّ زَمَانًا يَسِيرًا" (رؤيا يوحنا: الاصحاح ٢٠/١-٣).

وهذا يعني - بحسب التصور المسيحي - ان الأرض يحكمها المسيح وأعوانه لمدة ألف سنة، ويكونون خلالها بمأمن من الشيطان وأعوانه، وتفيض الأرض بخيراتها حتى يسكن الخروف مع الذئب دون خوف أو أذية (أنطونيوس فكري، تفسير سفر الرؤيا، ص ١٩٧).

وفهم من ذلك كله إن فكرة الموت في الفكر المسيحي بداية الخلاص بالنسبة للمؤمنين

التسميات (فراس السواح، ٢٠١٦، ص ١٩٨).

لذا فإن حياة ما بعد الموت وتصوراتها الكبيرة، تمثل مكافأة للمؤمنين الأخيار، جعلتهم يستحدثون خيارات عديدة للوصول إليها، خيارات تتعلق بالموت سواء لهم أو لأعدائهم، كطريقة مثلى للحصول على تلك المكافأة كونهم من المؤمنين الطيبين، أما اعدائهم من الأشرار فيجب قتلهم جميعاً وارسالهم الى الجحيم عقاباً لهم من قبل الرب.

ويبدو إن تغذية فكرة الإيمان والخلص هي التي حاولت الكنيسة المسيحية تنميتها واستغلالها في تغذية الفكر المسيحي بفكرة الخلاص للمؤمن المسيحي ليعرف حقيقة ما ترتهن به تقليات الحاضر، فهو الكاشف الذي يقوم مقام التنبيه، ليحفظ رجاء المستضعفين، ويقوي شجاعة الفاترين، ويُلهم الضالين إلى طريق التوبة (باسمة الخوري الأنطونية، ٢٠٠٩، ص ٣٣).

والاعتقاد السائد في الفكر المسيحي إنه بمجيء المخلص، المتمثل بنزول المسيح، ستشهد الأرض معركة طاحنة ومجزرة بشرية مهولة، يقتل فيها خلق كثير، تقوم بين قوتين عظيمتين تمثل احدهما: قوى الخير بقيادة المسيح واتباعه المؤمنين به والملائكة التي سترافقه عند عودته، وثانيهما: قوى الشر المتمثلة بالشيطان واتباعه من المسلمين

من المسيحيين، المؤمنين بالمسيح وقيامته و بانتصاره في النهاية على أعدائه، وإن الخلاص لا يشمل الذين لا يؤمنون به، وإن على المسيحي أن يقدم ما يؤكد إيمانه بالمسيح المخلص من خلال اعلان توبته وأن يسعى لذلك بالعمل الجاد لبلوغ الخلاص، فلا خلاص إلا بالعمل.

مفهوم اليهود الاسكاتولوجي

يؤمن الفكر اليهودي بالاسكاتولوجيا (اليوم الأخير ونهاية الزمان)، إلا إننا لا نجد في كتبهم اللاهوتية لاسيما التوراة والتلمود إلى ما يشير إليها بصورة مباشرة و صريحة، وكل ما نجده فيها سرديات عديدة عن تجميع يهود الشتات، ومجيئ المسيح المخلص، والحياة بعد الموت، وبعض التفاصيل الصغيرة عن الأيام الأخيرة في سفر دانيال والتلمود (حسن ظاذا، ١٩٧١، ص ١١٣).

وكل ما نجده في بعض أسفار التوراة هو حديث طويل عن يوم يهلك فيه كل أهل الشر، وينتصر فيه أهل الخير: "فَهُؤَدَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُنْفَذُ كَالنُّتُورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الْآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ أَصْلًا وَلَا فَرَعًا. ^٢ «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُنْفُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبَرِّ وَالشَّفَاءُ فِي أَجْبَحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصَّيْرَةِ. ^٣ وَتَدُوسُونَ الْأَسْرَارَ لِأَنَّكُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا تَحْتَ بَطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هَذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (سفر ملاخي:

الاصحاح ١/٤-٣).

ولا يحتاج هذا النص إلى تحليل عميق لكي نعرف إن الناجين من هذا الهلاك هم اليهود، أما الهالكون فهم كل من يعاديهم من الأمم، وهو ما يفهم من نص آخر من أسفار التوراة والذي يقول: " ^{١٢} وَهَذِهِ تَكُونُ الضَّرِيَّةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ. لَحْمُهُمْ يَذُوبُ وَهُمْ وَأَقْفُونِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَعَيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا، وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ. ^{١٣} وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ اضْطِرَابًا عَظِيمًا مِنَ الرَّبِّ يَحْدُثُ فِيهِمْ، فَيُمْسِكُ الرَّجُلُ بِيَدِ قَرِيبِهِ وَتَعْلُو يَدُهُ عَلَى يَدِ قَرِيبِهِ" (سفر زكريا: الاصحاح ١٤/١٢-١٣).

كما يتحدث سفر آخر في التوراة عن يوم الرب (يوم الحساب)، وإنه يشمل جميع الأمم، إلا بنو إسرائيل فهم ناجون من هول هذا اليوم، ولكن الحديث - كما يبدو من النص - حديث عابر لا يفصل فيه الأحداث، ولا يعطي فكرة واضحة عنه: " ^٥ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الْأُمَّمِ. كَمَا فَعَلْتَ يَفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ. ^٦ لِأَنَّهُ كَمَا شَرِينُمْ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي، يَشْرِبُ جَمِيعُ الْأُمَّمِ دَائِمًا، يَشْرَبُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَكُونُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا. ^{١٧} « وَأَمَّا جَبَلُ صِهْيُونَ فَتَكُونُ عَلَيْهِ نَجَاةٌ، وَيَكُونُ مُقَدَّسًا، وَيَرِثُ بَيْتُ يَعْقُوبَ مَوَارِيثَهُمْ" (سفر عوبديا: ١٥-١٧).

تبعيات وتجليات الأسر البابلي، إذ سينتصر المخلص على الشيطان في نهاية الزمان، ويبدأ بعد هذا الانتصار العصر الذي سينعم فيه الإنسان بحياة أبدية التي يعمها الخير المطلق (يوسف هريمة، ٢٠١٦، ص ١١) .

ويبدو إن قلة النصوص التي تتحدث عن اليوم الأخير في التوراة جعل بعض الباحثين يقولون بعدم إيمان اليهود بفكرة النهاية، فيما ذهب قسم آخر منهم إلى القول بإيمانهم به .

ومن الذاهبين إلى تبني الرأي الأول ابن كمونة اليهودي (المتوفى في القرن السابع الهجري) والذي ذكر إن: "معرفة بني إسرائيل بتلك العقيدة، ولذلك فهو أمر لا يحتاج إلى تكرار" (ابن كمونة، د.ت، ص ٢٧)، وبين سبب ذلك بالقول: "أن خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء، جعل كثيراً من الباحثين، يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث، والثواب والعقاب في الآخرة، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود" (ابن كمونة، د.ت، ص ٢٧) .

ويبدو إن ذلك بسبب تأثير الحضارة العراقية القديمة على الفكر اليهودي فيما يخص عقيدة البعث، فقد جاء في تفكير الإنسان العراقي القديم إن الدين يمثل خلاصاً من أجل تطمين الحاجات النفسية الغريزية لديه، لأنه يمثل الإطار الذي يتحرك بداخله هذا النهج من التفكير، وقد كانت مسألة الموت والبعث هي أول ما تحرك في فكر الإنسان

وتستمر التوراة بالإشارة إلى وقوع هذا اليوم في سفر آخر من أسفارها، لكن يبدو إن فكرة الحديث تدور عن نجات بني إسرائيل وتسويق ذلك تسويقاً فيه بُعد سياسي واضح ليدل على إن الأمة الناجية هي أمة اليهود دون غيرها: "«وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانٌ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُجَيِّ شَعْبَكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السَّفَرِ. وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَنقِظُونَ، هُوَآءَ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَهُوَآءَ إِلَى الْعَارِ لِلْإِذْرَاءِ الْأَبَدِيِّ" (سفر دانيال: الاصحاح ١٢/١-٢) .

ويبدو من تلك النصوص إن مصطلح الاسكاتولوجي في الفكر اليهودي يشير إلى مفاهيم خاصة حول ما سيحدث في آخر الزمان، وهي العقائد الخاصة بعودة المسيح - وما سيحل بالبشرية بسبب الشرور، فضلاً عن الصراع النهائي بين قوى الشر وقوى الخير، والخلص النهائي وعودة المنفيين اليهود إلى أرضهم الموعودة - بحسب الاعتقاد اليهودي.

وكان تأثير الفكر الاسكاتولوجي على الفكر اليهودي كبيراً جداً، ويرى أحد الباحثين إنه قد جرى مزوجة تلك الفكرة - فكرة المسيح المنتظر مع فكرة المخلص الزرادشتية، التي كُتب لها الانتشار بعد سقوط الامبراطورية البابلية سنة ٥٣٩ ق.م، وخلص اليهود من

فصوله" (ليوتاكسل، د.ت، ص٢٠٧). ويؤكد باحث آخر على عدم وجود مفهوم الجحيم والنعيم في التوراة بالقول: "كل صفحات التوراة لم تأتِ على ذكر مكان سماوي ينتهي إليه الإنسان كعقاب أو ثواب، إنما الجنة وجهنم فموضعهما أرضي لا سماوي ... إن كلمة (جهنم) بمفهومها الجحيمي الموضع الذي ينتهي إليه الأشرار ذُكرت أول ما ذُكرت في العهد الجديد وليس العهد القديم" (حنا حنا، ٢٠١٠، ص١٩١). فضلاً عن ذلك يؤكد هذا الباحث على إن اليهود لا يؤمنون بقيامة الموتى وخلود النفس، لأن العدالة الإلهية تُفرض في الحياة الدنيا - على الأرض - فيقول: "ولكن عدالة الله هذه تتم على الأرض لأن الشعب العبراني لم يكن يؤمن بقيامة الموتى وخلود النفس، لم يكن يؤمن بحياة ثانية بعد الموت، فبعد أن يترك الأموات هذه الأرض يصبحون ظلالاً خفية ويحبسون في سجن تحت الأرض وهي الشبول (الهاوية أو الجحيم)، ذلك المكان المظلم والحزين الذي قال فيه سفر أيوب "قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضٍ ظُلْمَةٌ وَظِلُّ الْمَوْتِ،^{٢٢} أَرْضٍ ظَلَامٍ مِثْلٍ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ وَبِلَا تَرْتِيبٍ، وَأَشْرَافُهَا كَالدُّجَى" (سفر أيوب: الاصحاح ١٠/٢١-٢٢). وهي أرض ظلمة وظلال موت، أرض السواد والفوضى، أرض يكون نهارها كالديجور. وتعيش هذه الكائنات في الشبول

العراقي القديم، فكانت فكرة الموت ومفارقة الحياة الظاهرية والذهاب إلى عالم آخر لا يعرف عنه شيئاً هي ما يؤرق فكره، لذلك كانت نظرة العراقيين القدماء إلى الموت نظرة مشوبة بالكره والخوف منه. (حمدي كاظم روضان، جدلية الموت والحياة، ص٤٦٢-٤٦٣).

فيما أرجع سعديا الفيومي (ت ٣٣٩هـ) - وهو حاخام وفيلسوف يهودي مصري - سبب عدم ذكر التوراة لذلك إلى سببين (سعديا الفيومي، ١٨٨١م، ص٢٥٨):

الأول: إن وجود ثواب في الآخرة هو أمر يستدل عليه بالعقل، لذلك اختصرت التوراة ذلك وانكلت على العقل في فهمه.

الثاني: إن من شأن الأنبياء الكلام عن الحوادث القريبة، لوجود الحاجة إليها، أما الحوادث البعيدة فيعمدون إلى الاختصار فيها، ولما كانت الحاجة عند تدوين التوراة الحديث عن بلاد الشام التي أشارت التوراة إلى إنها موطن اليهود القادم توسعت في الحديث عنها وتركت الأمور البعيدة الأخرى ومنها اليوم الأخير.

كما إن كثير من الباحثين أكدوا على عدم ذكر التوراة للجنة أو الجحيم بين طياتها، ومن هؤلاء (ليوتاكسل Leotcastle) الذي أكد على عدم ورود لفظة (الجحيم) في كل فصول التوراة: "إن العهد القديم لا يأتي على ذكر جهنم أو المطهر في أي فصل من

بينما نرى في الحضارات القديمة إن العراقيين "كانوا يتصورون روح الميت بهيئة مخلوق له جناحان من الريش، وهو تصور قريب من فكرة الاغريق عن خروج روح الميت من الجرة التي يدفن فيها الجسد بهيئة إنسان مجنح يقوده الإله (هرمز) إلى مملكة الأموات. كما إن المصريين اعتقدوا أيضاً بأن أرواح الموتى تكون مكسوة بالريش ولها وجه بشري" (نائل حنون، عقائد ما بعد الموت، ص ١١١).

ولعل ذلك يقودنا إلى وضوح فكرة حياة ما بعد الموت عند الحضارات القديمة، وإن الإنسان يعيش حياة أخرى بعد انتقاله من هذه الحياة مكتسباً قدرات التنقل السريع والتطواف في عالم الأموات. (نائل حنون، عقائد ما بعد الموت، ص ١١١).

ويرى السواح إن قيامة الموتى قد أثرت في المفهوم التوراتي المتعلق بالمسيح المنتظر، حتى نشأت تصورات معينة عن بعث الموتى ترسخت تدريجياً في بعض الفرق اليهودية الرئيسية في القرن الأول الميلادي وهي فرقة الفريسيين التي آمنت بقيامة الموتى في اليوم الأخير الذي يسمونه (يوم الرب) (فراس السواح، ٢٠١٢، ص ٣٢٧).

وهذا كله يدل على إن فكرة الموت وقيامه الموتى عند اليهود قد تبدو للباحث فكرة مستوحاة من الحضارات التي تعايش معها اليهود على مر التاريخ، فتأثرت بها إلى حد

فلا تنعم بعناية الله" (حنا حنا، ٢٠١٠، ج ٢، ص ١٨٩). فهذا المكان الذي يذهب إليه جميع الأموات دون استثناء، كما تصرّح بذلك التوراة: "لأنّ الأحياء يعلمون أنّهم سيموتون، أمّا الموتى فلا يعلمون شيئاً، وليس لهم أجر بعد لأنّ ذكركم نسي. ومحببتهم وبغضهم وحسدكم هلكت منذ زمان، ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد، في كل ما عمل تحت الشمس" (سفر الجامعة: الاصحاح ٩/٥-٦).

ويبدو إن الفكرة هي انعكاس لفكرة الموت والعالم الآخر في الحضارة الراقدينية، وهذا ما يؤكد فراس السواح بالقول: "فعالم الموتى هو عالم سفلي تذهب إليه أرواح الموتى جميعاً دون تمييز، فنجد القديسين والناس العاديين معاً" (فراس السواح، د.ت ص ٥١).

كما يشير الباحث إلى إن المشتركات الفكرية لعقيدة الموت تتشابه في أغلب المنظومات الدينية المشرقية الأخرى، فيؤكد على إن: "النظرة التوراتية لحياة ما بعد الموت لم تكن تختلف عما هو سائد في المنظومات الدينية المشرقية والكلاسيكية على حد سواء. فروح الميت تمكث مدة ثلاثة أيام إلى جانب جثمانه في القبر، ثم تهبط منه إلى هوة سفلية تدعى في التوراة شيئول (الهاوية)، وهي تعادل العالم الأسفل (كور) في الديانة الراقدينية" (فراس السواح، ٢٠١٢، ص ٣٢٦).

رواية القصص. وهذه التسمية جاءت من استخدام المؤلفين أسلوب القص الميثولوجي لتقريب تعاليم التلمود إلى عامة الناس" (فراس السواح، ٢٠١٣، لاهوت ابليس الساقط، <https://kitab.com>).

وهو تعميق بين لفكرة البعث والعذاب في الفكر اليهودي، وان الفكرة الاسكاتولوجية قد بدأت بالتأصل في التراث الفكري اليهودي بعد ذلك. وبدأنا نرى تبلور فكرة الخلاص عند اليهود تتخذ أشكالاً أكثر وضوحاً، بل وتعمق تلك الفكرة في أذهان اليهود بعد أن ساهم بانتشارها علماءهم وأخبارهم على المدى الطويل من تاريخهم.

لذلك لا عجب إن طالعتنا كتب اليهود بفكرة إيمان اليهود بنهاية التاريخ (الاسكاتولوجيا) بظهور نبي مثل موسى يؤكدون على عدم ظهوره حتى الآن، وكان منطلق تلك الفكرة ما جاء في التوراة من بشارات تؤكد على ظهوره، حيث ورد فيها: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي، لَهُ تَسْمَعُونَ، حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الرَّبِّ إِلَهَكَ فِي حُورَيْبَ يَوْمَ الْاجْتِمَاعِ قَائِلًا: لا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلَّا أَمُوتَ، قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنْتُمْ فِي مَا تَكَلَّمُوا، أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ" (التثنية: الاصحاح ١٨/١٥-١٨). وقد اعتقدوا بأن

ما، لكننا نرى عند فرقة أخرى من اليهود - وهم الفريسيين - نجد إنهم يؤمنون بقيامة الموتى، وإن بداية الإيمان اليهودي يبدأ من يوم القيامة - قيامة الأموات.

وهو ما سنتبناه جماعة الفريسيين التي يبدو إنها نشأت كردة فعل دينية وكثورة روحية على المحتل اليوناني حين دس ذلك المحتل الهيكل وفرض العبادة الوثنية على مجتمع اليهود، لكنهم وبناتظار القيامة، يهتدون لوسيلتين فعاليتين لمعالجة الخطايا التي فعلها الأموات، وهما الصلاة والذبيحة التكفيرية، "ثم انثوا يصلون ويبتهلون ان تمحى تلك الخطيئة المجترمة كل المحو ...^{٤٣} ثم جمع من كل واحد مقدمة فبلغ المجموع الفي درهم من الفضة فأرسلها الى اورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة وكان ذلك من أحسن الصنيع واتقاه لاعتقاده قيامة الموتى.^{٤٤} لانه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً" (سفر المكابيين الثاني: الاصحاح ١٢/٤٢-٤٤).

وتلك الإشارة أول ما يطالعنا في أسفار التوراة نتحدث عن فكرة البعث بعد الموت، والعذاب الأخروي، ويبين فراس السواح في مقاله - لاهوت ابليس - تبلور هذه الفكرة في التلمود اليهودي بالقول: "نشأت على هامش التلمود، وهو المصدر الثاني للشرعية بعد التوراة، خلال القرون الأولى للميلاد، مجموعة النصوص المعروفة بالهاجادة، أي

منهم هداياهم، ويدخل الجميع في طاعة اليهود وتحت حكمهم، ويقبلون كلهم إلا المسيحيين فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان، وتكون الأمة اليهودية هي المتسلطة - في نهاية الزمن - على جميع الأمم بحضور إسرائيل الذي يحضر في النهاية لكونه منتظر الأمة (روهلنج، وشارل لوران، ١٩٩٩، ص ٨٠-٨١).

ويبدو إن مهمة هذا المخلص - تبعاً لنصوص التوراة والتلمود - جلب الخلاص للشعب اليهودي، وإقامته لمملكة الرب على الأرض وليس في السماء، وأن يحكم العالم، فقد ورد في سفر أشعيا: "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ رَبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التَّلَالِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ. ٣ وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعُدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهٍ يَعْشُوبُ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكُ فِي سُبُلِهِ». لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. ٤ فَيَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكِّكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلَا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ" (سفر أشعيا: الاصحاح ٢/٢-٤).

ويفهم من هذا كله إن عقيدة المخلص في الديانة اليهودية وما يرتبط بها من حوادث اسكاتولوجية لا تعدو فكرة وصف اللحظات التاريخية الأخيرة التي تسود فيها أمة اليهود،

كلمة (مثلي) الواردة في النص تدلُّ على إنها مماثلة هذا النبي لموسى في كل شيء (احمد حجازي السقا، ١٩٧٧، ص ١٣٣).

ويؤكد باحث آخر على إن اليهود كانوا قلما يشيرون إلى الحياة بعد الموت، ولم ترد في نصوص التوراة شيء من فكرة الخلود، وكانت فكرة الثواب والعقاب لا تتعدى الحياة الدنيا، إلا إن بعض فرق اليهود قد آمنت بحياة بعد الموت وهم فرقة الفريسيين، ولكنهم قصرها على الصالحين من البشر فقط (عبد المجيد همو، ٢٠٠٣، ص ١٩٥-١٩٦).

ويبدو إن أمر المخلص المنتظر هذا في الفكر اليهودي، لم تُبشِّر به التوراة فقط، بل إن أسفار التلمود قد اهتمت به اهتماماً ملحوظاً، فقد تحوّلت على أيدي الرّيبين إلى عقيدة شاملة، فترقبوا ظهوره ومجيئه، فهو المخلص الذي سيرفع بني إسرائيل ويعيد لهم مجدهم (احمد حجازي السقا، ١٩٧٧، ص ١٣٣).

وحين يظهر المخلص تعود سلطة بني إسرائيل وقوتها، وتصير كل الأمم الأخرى في خدمته، وتخضع لسلطته، ويرافق عودة هذا المخلص حدوث حربٍ عظيمة يهلك فيها ثلثا العالم، وينتصر اليهود فيها ويغنمون غنائم كثيرة، وتخضع لهم كل الأمم والشعوب الأخرى، ويقبل المخلص الهدايا ممن يبقى من تلك الشعوب إلا المسيحيين؛ فإنه لا يقبل

مصيره المحتوم هو الموت. لذا آمنت تلك الديانتين بفكرة القيامة كونها نابعة في الأساس من العمق الديني لهما. بل ووردت نصوص عديدة في كتبهم المقدسة تدعم هذه الفكرة وتعلن حتميتها لكل البشر على الرغم من تباين تلك النصوص من كتاب إلى آخر، فقد كان ذكرها يرد كثيراً في الإنجيل، بينما في التوراة هناك إشارات ونصوص أقل مما ورد في الإنجيل. فضلاً عن إن أنبياء الديانتين لهم أيضاً نصوص عديدة تؤكد عليها.

٤- تفاوت الإيمان بفكرة الاسكاتولوجيا بين أتباع الديانتين تبعاً للنصوص الوارد في كتبهم المقدسة التي فسّرت على تلك الصورة، فبينما يرى المسيحيون إن القيامة سوف تكون للبشر أجمعين، بينما يرى اليهود إنها فكرة لا تتعدى الحياة الدنيا، وليس هناك فكرة الخلود في الحياة الأخرى سوى فرقة واحدة منهم فقط آمنت بوقوع الخلود في الحياة الأخرى وهي فرقة الفريسيين.

٥- تشابه المشتركات الفكرية لعقيدة الموت في أغلب الحضارات الدينية السماوية والوضعية لاسيما في الحضارات الشرقية القديمة، فقد تأصلت فكرة اليوم الأخير وفكرة البعث تأصلاً جذرياً في الفكر السائد آنذاك بينهم، فأمنت الحضارة الراقدينية والاعريقية والمصرية فضلاً عن اليهودية والمسيحية في وجود تلك الفكرة - فكرة البعث والخلود بعد

مركزية الفكر الأخروي فكرة عودة الأمة اليهودية وسيادتها على كل الشعوب الأخرى، لذا فالفكر الاسكاتولوجي اليهودي منفصل تماماً عن البعد الأخلاقي؛ لأنه لا يؤمن بالثواب والعقاب - وإنما يرتبط أساساً بخلص الشعب اليهودي وهلاك الشعوب الأخرى (عبد الوهاب المسيري، ١٩٩٩، ج٧، ص٩٤).

الخاتمة

توصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

١- تمحورت فكرة الاسكاتولوجيا حول الموت وحياة ما بعد الموت متخذة في ذلك صوراً وأشكالاً مختلفة تبعاً لنوع الفلسفة التي انبثقت منها.

٢- آمنت أغلب الحضارات القديمة بفكرة الموت وحياة ما بعد الموت، فضلاً عن فكرة المخلص، وإن الناس سوف تبعث مرة أخرى بهيئة أخرى، اختلفت الحضارات القديمة في تصويرها كل حسب اعتقاده ورسوخ هذه الفكرة في معتقداته الدينية والروحية.

٣- تركّز مفهوم الاسكاتولوجيا في الديانتين اليهودية والمسيحية على فكرة إن نهاية الزمان هو حقيقة حتمية انطلاقاً من الفكر الديني الراسخ لدى الديانتين باعتبارهما ديانتين سماويتين، وفكرة الخلود لم تكن فكرة لها وجود في الديانتين باعتبار إن الإنسان

باعتبار إن هذه الحياة بُنيت على فكرة الخطيئة الأولى التي ارتكبتها الإنسان الأول، ودفع ثمنها جميع البشر؛ فالموت يعد خلاصاً لهم من تلك الخطيئة. أما اليهود فقد اعطوها بعداً وجودياً وكيانياً سياسي أكثر منه ديني عقدي، فاعتبروا إن الخلاص هو خلاص للشعب اليهودي ويوم إقامة مملكة الرب على الأرض وليس في السماء، وإن يحكم العالم بشريعتهم هم لا بشرية أخرى.

الموت - إلا إنها تباينت في شكل ذلك البعث وكوف سيكون والصورة التي يبعث عليها سائر البشر.

٦- اختلفت النظرة لفكرة الموت والخلاص في الديانتين اليهودية والمسيحية من حيث التعبير عن شكل هذا التحول الحياتي من حياة الدنيا إلى الحياة الأخرى، فنظر المسيحيون إلى إن فكرة الموت هو بحد ذاته خلاص للمؤمنين تحديداً دون المذنبين،

المصادر والمراجع

١. ابن كمونة، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ط٢، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
٢. احمد حجازي السقا، المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ١٩٧٧).
٣. أسطفان شربنتيه، الدليل إلى قراءة الكتاب المقدس، نقله إلى العربية: الأب صبحي حمودي اليسوعي، ط٣، منشورات دار المشرق للكتاب المقدس، (بيروت، ١٩٩٠).
٤. أنطونيوس فكري، تفسير سفر الرؤيا، كنيسة السيدة العذراء، الفجالة، (د.ت).
٥. أوغسطين دوبره لاتور اليسوعي، دراسة في الاسكاتولوجيا، ط٣، دار المشرق، (بيروت، ٢٠٠٧).
٦. إيرثينوس، الحياة بعد الموت، ترجمة: د. نيفين سعد، مطبعة الدلتا، (مصر، ٢٠١٠).
٧. باسمة الخوري الأنطونية، مجيء الرب: إسكاتولوجيا سفر الرؤيا، في أوراق رهبانية، مجلة البيان، السنة ٣٢، العدد ١٠١، خريف ٢٠٠٩.
٨. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د.ط، تعريب: شركة ماستر ميديا، (القاهرة، ٢٠٠٢).
٩. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٩٨٢).
١٠. جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الامريكانية، (بيروت، ١٨٩٤).
١١. حسن ظاظا، الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، (القاهرة، ١٩٧١).
١٢. حمدي كاظم روضان، جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات - العلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد ١٨، السنة العاشرة، ٢٠١٦.
١٣. حنا حنا، الحكم والأمثال السورية القديمة وصداها في الأدب العالمي - أحيقار نموذجاً، ط١، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، (سوريا، ٢٠١٠).
١٤. خزعل الماجدي، علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله، ط١، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠١٦).
١٥. روهنج، وشارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة وتحقيق: يوسف نصر الله، ط٢، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٩).
١٦. سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، د.ط، (الهند، ١٨٨١م).

١٧. عبد المجيد همو، اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت، ترجمة وتحقيق: اسماعيل الكردي، ط١، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، (٢٠٠٣).
١٨. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار المشرق، (القاهرة، ١٩٩٩).
١٩. عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية (فرنسي - عربي)، ط١، المركز التربوي للبحوث والإفتاء، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٩٤).
٢٠. فراس السواح، أساطير الأولين، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، ط٢، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، (دمشق، ٢٠١٦).
٢١. فراس السواح، ألغاز الأنجيل، ط١، دار التكوين للطباعة والترجمة والنشر، (دمشق، ٢٠١٢).
٢٢. فراس السواح، لاهوت إبليس السافط، مقالة منشورة في موقع كتابات على الموقع الإلكتروني: <https://kitabab.com>.
٢٣. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، ط١، (بيروت، د.ت).
٢٤. القس جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقحه وأضاف عليه: القس منيس عبد النور، الكنيسة الانجيلية بقصر للدبارة، (القاهرة، د.ت).
٢٥. كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، (بيروت، د.ت).
٢٦. لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط٢، منشورات عويدات، (بيروت - باريس، ٢٠٠١).
٢٧. ليوناكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة: د. حسن مخائيل إسحاق، (د.ت، د.م).
٢٨. محمد الحسيني إسماعيل، البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي، مكتبة وهبة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٠).
٢٩. نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٦).
٣٠. نخبة من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، (د.م، ط.ت).
٣١. يوسف هريمة، عقيدة الانتظار بين الواقع والتمني نزول عيسى انموذجاً، مؤمنون بلا حدود للتوزيع والنشر، (بيروت، ٢٠١٦).